مجلة جامعة طبرق للعلوم الاجتماعية والإنسانية

مجلة علمية محكمة تصدر ربع سنوياً

المثل والحكمة قبل الاسلام

د. السنوسي أبوبكر أحمد

أستاذ مساعد – كلية التربية جامعة سرت

العدد الثامن

أكتوبر 2021

المستخلص

يناقش هذا البحث المثل والحكمة ما قبل الاسلام، وكيف كانا عند عرب الجاهلية. فيدرك المتتبع لتلك الدلالات الإنسانية التي حملتها الأمثال والحكم القديمة فيقتنع بل تزداد قناعته بمستوى الحياة العقلية التي كان يعيشها عرب تلك البوادي، وتدركه القناعة أيضا بمدى رهافة الأحاسيس والمشاعر التي تعايشت مع الكون المحيط، عندها يعلم بل يجتني من تلك العلاقة الجدلية حكمتها التي درب وتربى عليها أجيال وأجيال من الماضي الى وقتنا.

ومن الحق ان هناك فروقا بين الحكمة والمثل يمكن ارجاعها الى:

- أن الحكمة عامة يمكن ان تصدر في الأقوال والأفعال أما المثل فهو متعلق بالأقوال.
- أن المثل وقع فيه التشبيه دون الحكمة.
- وأن الحكمة للتنبيه والإعلام والموعظة، أما المثل فهو للاحتجاج.

لكن كثير من الأمثال لبست ثوب الحكمة وسارت على منهجها.

وإن الأمثال شأنها من حيث التوثيق شأن العلوم الأخرى العربية والاسلامية نالت حظها من الرواية والنقد، والذي يطالع كتب الأمثال العربية القديمة يستقر في ذهنه وهن الاهتمامات التي وجهت بها الأمثال والحكم فنجد من خلال فحصها وتمحيصها وما تميزت به من فنية كالإيجاز والموضوعية وارتباطها الوثيق بحياة الناس وما تناولته من مأثور القصص الواقعي أو الاسطوري فهي قد تجاوزت ما يرتبط بالألوان النثرية الأخرى مثل: (الخطب والرسائل) فإن الشك أبى إلا أن يتسرب إليها فتضاربت الاراء حولها، فمن قائل: بإستحالة دراستها كنموذج نثري وافد من العصر الاسلامي وما بعده.... ومنهم

من شكك في قصص الأمثال اذا لكن من العسير على مؤلفي كتب الأمثال أن يجدو لكل مثل قصة وهذا يدعو إلى التشكيك!!

وعلى الرغم من تنازع نسبة المثل إلى أكثر من قائل في عديد الأمثال، فإن المحققين من علماء الأمثال استطاعوا أن يردوا بعضها إلى قائلها الأول في عبارة مشهورة: (وأول من قاله) كما هو عند أبى هلال العسكري.

إن جملة لا بأس بها من الأمثال والحكم العربية القديمة التي كتب لها الذيوع والانتشار هي في الحقيقة أنصاف من أبيات شعرية وردت في دواوين الشعراء الجاهليين، وهي لا شك تعد من أوثق ما نسب الى عصر ما قبل الاسلام.

الكلمات المفتاحية: المثل، الحكمة، السائر، البلاغة، الجاهلية.

Proverbs and wisdom prior to Islam

Abstract

You cannot talk about Islam without mentioning the Arabic culture. Proverbs considered to be a subject which is full of meaning, and it might be known in Arabic culture by (common saying or proverb). This can be represented by comparing something to something else and suggesting that it has similar quality. There is tangible existence of proverbs in the life of humanity and it might even be contributed to the civilization of human beings. Proverbs vary as the social classes do. Whether proverbs are formal or slang informal they always described as common because the experience of all people make it come to be known and though it felt familiar to most the people. Proverbs are not made to be abandoned since it is still represent a message which is contain the experience and suffering of human. On the other hand there is the wisdom which is similar to the proverb in some aspects, it can be defined in various definitions and meanings. Some of them are as follows:

1. Performing something in the ideal and optimum way.
2. Science explaining the real nature of things.
3. Divine mysteries and intentions inherent in things.
4. Knowledge together with action.
5. Beneficial knowledge and good deeds.

Proverb and wisdom play a major rule in transporting the culture and history from generation to another. And the Islamic culture made that clear by setting plenty of example to add up to Arabic culture in specific and humanity in genera.

المصطلح

المثل:

تعد مادة «مَثل» من المواد اللغوية الغزيرة في معانيها. وربما يمثل الكثير من تلك المعاني، معنى يعرف عند العرب بـ«المثل السائر».

تأتي هذه المادة في المعاجم العربية لتدل على: "مناظرَة الشّيءِ للشيء. وأن هذا مِثْل هذا، أي نَظِيرُه، وربَّما قالوا مَثِيل كشبيه"[6].

تقول العرب هذا «مِثْلُه وَمَثَلُه» يعني: «شِبهُه وَشَبَهُه ونظيره»[7].

و«المَثَلُ»: التمثيل، والصفة، والحجة والحديث ذاته[8]. ويقولون: مثل الرجل بين يديه: يريدون: قام أمامه منتصبا. وَتَمَثَّلَ بالشيءِ: ضَرَبَه مثَلاً. وامْتَثَلَ مِثالَ فلانٍ: إذا احْتَذى حَذْوَه وَسَلَكَ طريقَتَه. والمَثَلُ بمعنى الماثِل.

إن كل ما سبق من معاني كائنة في تفسير مفهوم مصطلح «الأمثال السائرة» حيث إنها في الحقيقة تشبيه حال واقعة، بأخرى سالفة، لما بينهما من التشابه والتماثل.

فالمثل: «تجسيد، وعبرة». وهذا حق، حيث نرى المثل يجسد الحقيقة المعنوية، والعبرة الكامنة في الموقف أو القصة، وهي . غالبا . تمثل خبرة أو تجربة إنسانية (=عبرة)، تظهر في مضمون المثل المضروب.

---

6 . مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (296/5)، دار الفكر، 1979م.

7 . راجع: تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، (381/30)، الكويت، 2001م. والمعجم الوسيط (854/2)، مادة: مثل.

8 . تاج العروس، السابق.

والمثل: «الشاهد والماثل»،حيث يظل شاهدا على الواقعة أو التجربة السالفة، وشاهدا لمن أراد أن يتمثل به، وماثلا أمام ناظريه للوقوف على رحيق نتاجات العقول في لحظات الإشراق والتجلي؛ ولذلك قالوا: "سُمِّيت الحِكَمُ القائمُ صدقُها في العقول أمثالا لانتصاب صُوَرِها في العقول"[9].

والتمثُّل والتمثيل: كما هو ضرب للمثل فهو: «تصوير ورسم ووصف».

إنّ المثل السائر مشحون بكل ما تحمله هذه الكلمات من معان، فهو تصوير للحادثة أو الموقف أو القصة..، وتصوير للنفس الإنسانية في إبان تلك المواقف والأحداث، وتصوير للمشاعر المتباينة، كما هو تصوير للحقيقة أو ما يتصور أن يكون كذلك، وتصوير للعادات والتقاليد، وتصوير للعقول والأفكار..، وإن شئت قلت: تصوير للحياة..

وستظل الأمثال في كثير منها حكمة هادية للبشر، تحكي خبرة الأجيال العربية على مدار التاريخ، ومنطقها في تناول الكون المحيط بها، وما يضطرب فيه من أحداث.

السائر:

"والعرب تقول: «مثل سائر» و«بيت سائر» و«كلمة سائرة» ويعنون بكل ذلك الكلام البليغ الذي سلم من العيوب". يقول ابن رشيق: "وقولهم: «مثل شرود وشارد» أي سائرا لا يرد، كالجمل الصعب الشارد، الذي لا يكاد يعرض له، ولا يرد"[10].

وللأدباء تعريفات عديدة للمعنى الاصطلاحي للمثل، يمكننا أن نتبين من خلالها حقيقته، وإليك طائفة منها:

---

[9] . مجمع الأمثال، الميداني (6/1).

[10] . العمدة، ابن رشيق (280/1).

- يرى «المبرد»: المثَلُ مأخوذ من المِثال، وهو : بأنه: "قولٌ سائرٌ، يُشَبَّه به حالُ الثاني بالأول، والأصل فيه التَّشْبِيه[11].

- ويقول «ابن السِّكِّيتِ»: "المَثَلُ: . لَفْظٌ يخالفُ لفظَ المضروب له، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ، شَبَّهُوه بالمثال الذي يُعْمَلُ عليه غيره[12].

- وقيل: إنّه القول السائر المشبه مضربه بموردِه.

- وقال «المرزوقي»: المثل جملة من القول مقتضبة من أصلها أو مرسلها بذاتها، تتسم بالقبول وتشتهر بالتداول، فتنتقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها من غير تغير يلحقها في لفظها، وعما يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني[13].

ولذلك تضرب وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها، واستجيز من الحذف ومضارع ضرورات الشعر فيها ما يستجاز في سائر الكلام.

- وقال «الراغب»: المثل عبارة عن قول في شيء يشبِّهه قولا في شيء آخر، بينهما مشابهة، ليبين أحدهما الآخر ويصوره[14].

ومن التعريفات السابقة يظهر لنا أن المثل لابد أن تتوفر فيه المواصفات الآتية:

1. الشهرة والذيوع (= سائر).

---

11 . مجمع الأمثال، الميداني (5/1)

12 . مجمع الأمثال، الميداني (6/1).

13 . راجع: زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن اليوسي، تحقيق: د. محمد حجي، ود. محمد الأخضر (1/)، دار الثقافة، المغرب، ط1، 1981م.

14 . المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص: 462.

2. الإيجاز والتكثيف: إذ كان المثل عند العرب "كالعلامة التي يعرف بها الشيء، وليس في كلامهم أوجز منها، ولا أشد اختصارا"[15]

3. المورد (= الحال الأول التي ورد فيها المثل = السبب الخاص).

4. المضرب (= الحال الثاني الذي يستشهد بالمثل من أجله).

5. التشبيه، وذلك بأن يكون التشبيه صريحا، كقولهم: «كالمُسْتَغِيثِ مِنَ الرَّمْضَاءِ». أو لا يكون مصرحا به، لكنه قائم على تشبيه الحال الثانية بالأولى، كقولهم: «لأَمْرٍ مَّا جَدَعَ قَصِيرٌ أَنْفَه».

6. الحكاية: وهذا يعني أن المثل يروى على صيغته الأولى دون تغيير فلا يُذَكَّر إذا كان مؤنثا كما في قولهم: «الصيفَ ضيعتِ اللبن» وإن مُثِّلَ به في مذكَّر، ولا يثَنَّى أو يجمع إذا كان مفردا ومضربه في أكثر. بل يتمثل به على صيغته التي ورد عليها وإن خالف القواعد.

وللعلامة «ضياء الدين بن الأثير» كلام نفيس يعلل فيه لتلك الأوصاف السابقة التي تجمع خصائص الأمثال العربية، قائلا: "العرب لم تضع الأمثال إلا لأسباب أوجبتها، وحوادث اقتضتها، فصار المثل المضروب لأمر من الأمور عندهم كالعلامة التي يعرف بها الشيء...، وسبب ذلك ما أذكره لك لتكون من معرفته على يقين، فأقول: قد جاء عن العرب من جملة أمثاله «إن يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر» وهو مثل يضرب للأمر الظاهر المشهور، والأصل فيه كما قال المفضل بن محمد: أنه بلغنا أن بني ثعلبة بن سعد بن ضبة في الجاهلية تراهنوا على الشمس والقمر ليلة أربع عشرة من الشهر، فقالت طائفة: تطلع الشمس والقمر يرى، وقالت طائفة يغيب القمر قبل أن تطلع الشمس، فتراضوا برجل جعلوه حكما، فقال واحد منهم: إن قومي يبغون علي، فقال الحكم: إن يبغ عليك قومك لا يبغ عليك

15 . المثل السائر، ابن الأثير (54/1).

القمر.فذهبت مثلا، ومن المعلوم أن قول القائل «إن يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر» إذا أخذ على حقيقته من غير نظر إلى القرائن المنوطة به والأسباب التي قيل من أجلها لا يعطي المعنى ما قد أعطاه المثل، وذلك أن المثل له مقدمات وأسباب قد عرفت وصارت مشهورة بين الناس معلومة عندهم، وحيث كان الأمر كذلك جاز إيراد هذه اللفظات في التعبير عن المعنى المراد، ولولا تلك المقدمات المعلومة والأسباب المعروفة، لما فهم من قول القائل: «إن يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر» ما ذكرناه من المعنى المقصود، بل كان يفهم من هذا القول معنى مفيد، لأن البغي هو الظلم، والقمر ليس من شأنه أن يظلم أحداً، فكان يصير معنى المثل: إن كان يظلمك قومك لا يظلمك القمر، وهذا كلام مختل المعنى ليس بمستقيم؛ فلما كانت الأمثال كالرموز والإشارات التي يلوح بها على المعاني تلويحاً صارت من أوجز الكلام وأكثره اختصاراً، ومن أجل ذلك قيل في حد المثل: إنه القول الوجيز المرسل ليعمل عليه"[16].

(2)

المكانة والتوثيق

هذا لون من ألوان النثر البديع، الذي ذاع على ألسنة العرب الجاهليين واستطاع بخصائصه الفنية الممتازة أن يستعصي على غائلة[17] النسيان، فعَلِق بالذاكرة العربية، وأدمنت حكايته والاستشهاد به الأجيالُ المتعاقبة على كافة طبقاتها، حتى تم له التدوين.

ومن أجل ذلك لم يرَ الدكتور طه حسين بأسا . على تشككه في الآداب الجاهلية بوجه عام . أن يشير إلى أن "طائفة غير قليلة من الأمثال يجب أن تكون جاهلية"[18].

16 . المثل السائر، ابن الأثير (55.54/1)، وراجع: صبح الأعشى، القلقشندس (296/1).

17 . الغائلة: المهلكة.

بيد أنه من الخطأ البيّن أن يقال في حق الأمثال: "هذا كله شيء والنثر الفني شيء آخر"!![19]، فلم يكن النثر الفني في عصر من العصور لونًا واحدًا، على الأدباء ألا يتخطوا حدوده! وإنما تعددت إنجازاته الأدبية في صور عديدة، لكل منها مجالاتها التي تبرز فيها خصائصها.

وإذا كانت الخطابة . كلون نثري . قد احتضنت النماذج الشعرية . وهو اللون المقابل للنثر في الأدب . في أقدم نماذجها المنسوبة إلى العصر الجاهلي، فيما يعرف بظاهرة «التضمين»؛ فإن الشعر الجاهلي قد احتفى بنموذج النثر المكثف (=المثل) في نسيج تجاربه.

لقد ولع الشعراء العرب منذ العصر الجاهلي بضرب الأمثال في أشعارهم ابتداء من أمير الشعراء الجاهليين «امرئ القيس» كما في قوله:

الله أنجحُ ما طلبتُ به ✷ والبرُّ خيرُ حقيبةِ الرَّحْلِ[20]

ويقول «المتلمس الضُّبْعِي»:

وَإِصلاحُ القَليلِ يَزيدُ فيهِ ✷ وَلا يَبقَى الكَثيرُ مَعَ الفَسادِ[21]

وعلى مدار تاريخنا الأدبي المديد تراسلت العلاقة بين الشعر والأمثال، فلم يكتف الشعراء بضرب الأمثال في قصائدهم، بل ذهبوا يقتبسون من الأمثال السائرة يضمنونها بديع أشعارهم.. فالشاعر العباسي المشهور «أبو تمام» يأخذ من مأثورات العرب في أمثالها قولهم: (اتسع الخرق على الراقع) ويؤسس عليه بنيان بيته الذي يقول فيه:

---

18 . في الأدب الجاهلي، د. طه حسين، ص: 331.

19 . نفسه.

20 . ديوان امرئ القيس، ص:238، والحقيبة: الذخيرة.

21 . ديوان المتلمس الضبعي، تحقيق حسن كامل الصيرفي، مصر، معهد المخطوطات، 1970م، ص: 173.

يا عَمرُو قُل لِلقَمَرِ الطالِعِ ✷ إِتَّسَعَ الخَرقُ عَلى الراقِعِ[22]

وكذلك أكثر المتنبي في أشعاره من ضرب الأمثال، يقول في قصيدة له:

يَفْدي بَنيكَ عُبَيْدَ الله حَاسِدُهم✷ بجَبهَةِ العَيرِ يُفدى حافرُ الفَرَسِ[23]

ويقول:

وَالمَرْءُ يأمُلُ وَالحَيَاةُ شَهِيّةٌ✷ وَالشّيْبُ أوْقَرُ وَالشّبيبَةُ أنْزَقُ[24]

وغير ذلك من الأمثال المتناثرة في ديوان المتنبي.

ولشدة أسر الأمثال للعقلية العربية، سعت بعض النماذج الشعرية إلى أن تكون أمثالا خالصة. يقول ابن رشيق: "والمثل إنما وزن في الشعر ليكون أشرد له، وأخف للنطق به"[25].

هذا، ولقد لفتت هذه الظاهرة العلماء والأدباء حتى ذهبوا يتتبعون نوادرها في مصنفاتهم، ومن هؤلاء العلامة أبو منصور الثعالبي الذي أفرد فصلا طويلا لهذه الظاهرة في «لبابه»[26].

توثيق الأمثال:

إن الأمثال شأنها في (التوثيق) شأن العلوم العربية والإسلامية، نالت حظها من الرواية والتمحيص والنقد، والذي يطالع كتب الأمثال العربية القديمة؛ يستقر في يقينه وَهَن الاتهامات التي ووجهت بها الأمثال.

---

22. ديوان أبي تمام، تحقيق محمد عبده (392/4).

23. جعل العير مثلا للشيء الدني والفرس مثلا للكريم.

24. يقول: إن المرء يرجو الحياة لطيبها عنده، ويكره الشيب وهو خير له لأنه يفيده الحلم والوقار، ويحب الشباب وهو شر له؛ لأنه يحمله على الطيش والنزق.

25. العمدة، ابن رشيق (281/1).

26. لباب الآداب، أبو منصور الثعالبي، تحقيق: أحمد حسن ليج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (1369/2).

فإذا كانت الأمثال لطبيعتها الفنية (كالإيجاز..) أو الموضوعية (كارتباطها الوثيق بحياة الناس)، وما يرتبط ببعضها من مأثور القصص الواقعي أو الأسطوري . قد تجاوزت ما يرتبط بالألوان النثرية الأخرى من الشك (كالخطب والرسائل) فإن الشك قد أبى إلا أن يمجها برذاذه.. فمن قائل باستحالة دراستها كنموذج نثري وافد من العصر الجاهلي بسبب اختلاطها بأمثال العصر الإسلامي فالذي يليه، ومن مشكك في قصص الأمثال إذ لم يكن من العسير على مؤلفي كتب الأمثال أن يجدوا لكل مثل قصة.. وذلك أمر يدعو إلى إثارة التشكك..!!

إن متابعة كتب الأمثال تقف بنا على الحقائق التالية:

في حين استطاع علماؤنا القدامى أن ينسبوا عددا كبيرا من الأمثال إلى أصاحبها فإنهم لم يتكلفوا نسبة كل مثل إلى صاحبه أو إلصاق الأقاصيص بها بل ارتبطوا بما تناهى إلى سمعهم عن طريق الرواية من نسبة أو قصة. ومن أكبر الأدلة على ذلك تعري كثير من الأمثال القديمة عن النسبة أو القصة، ولم يكن عدم التكلف مرتبطا بوضوح المثل وعدم اشتماله على الأسماء التي تحتاج غالبا إلى قصة كقولهم: (أضئ لي أقدح لك)، فكثير من الأمثال التي يتوقع القارئ لها نسبة وقصة أخلف علماء الأمثال توقعه؛ كالمثل العربي (اسق رقاش إنها سقاية) فلم يزيدوا على أن (رقاش) اسم لامرأة، وفي قول العرب (أخبر تقله) أشاروا إلى أن المثل لا يعرف أصله، وكذلك المثل القائل: (أبدح وبديح) لمن جاء بالباطل. وفي قول العرب: (بسالم كانت الوقعة) يقول أبو هلال "ولا نعرف سالما هذا"[27].

ولم يكن كل ما يتناهى إلى أسماعهم ولو عن طريق الرواية يقبل على علاته دون تمحيص؛ فهم يعرضون الرويات التي تنامت إليهم في تفسير المثل على اختلاف رواياتها، سواء كان الاختلاف في

---

27 . جمهرة أمثال العرب (226/1).

النسبة إلى قائلها، أو في النسبة إلى العصر، أو كان الاختلاف في سياق القصة المرتبطة بالمثل، وفوق ذلك لم يألوا جهدا في التوجيه والنقد، والفصل فيه.. فالمثل العربي القائل: (أشبه امرأً بعض بزه) ينسب «لسهيل بن عمرو» ولهم مع تلك النسبة قصة، ولكنهم يرون أن الصحيح نسبة المثل لذي «الإصبع العدواني»[28]، وفي سياق المثل العربي القديم: (أطرى فإنك ناعلة) جاء في قصة المثل "أن رجلا كانت له أمتان راعيتان؛ إحداهما ناعلة، والأخرى حافية، فقال للناعلة: أطرى أي خذي طرر الوادي فإنك ذات نعلين، ودعي سرارته لصاحبتك؛ فإنها حافية". فيعلق أبو هلال على تلك القصة بما ينسفها قائلا: "قال أبو عبيدة: لم يكن هناك: نعل؛ وإنما أراد بالنعلين غلظ جلد قدميها"!!. وكثيرا ما تأتي القصة دون نسبة، كأصل وضع المثل في سياقه، ويكتفى حينئذ بالإشارة إلى أن "المثل قديم" كما يقرر أبو هلال في شرحه للمثل العربي: "كل الصيد في جوف الفرا".

على الرغم من تنازع نسبة المثل إلى أكثر من قائل في العديد من الأمثال، فإن المحققين من علماء الأمثال استطاعوا أن يردوا بعضها إلى القائل الأول في عبارة مشهورة تقول: (وأول من قاله) كما يقول أبو هلال العسكري في حديثه عن المثل القائل: (أنجز حر ما وعد) وأول من قاله: الحرث بن عمرو آكل المرار الكندي[29].

إن جملة لا بأس بها من الأمثال العربية القديمة، والتي كتب لها الذيوع والانتشار، هي في الحقيقة أنصاف أبيات شعرية، ثابتة في دواوين الشعراء الجاهليين برويات الثقات، وهي لا شك تعد من أوثق ما ينسب إلى العصر الجاهلي، فكما كانت الموسيقى الشعرية من أكبر العوامل التي قاومت عوامل

---

28 . جمهرة الأمثال، (25/1).

29 . السابق (30/1).

الضياع والنسيان في مسيرة الشعر العربي القديم، فقد لعبت كذلك في حياة العديد من الأمثال العربية دورا توثيقيا، يحملنا على دراسة الأمثال الجاهلية وقد اكتنفنا مزيد من الاطمئنان إلى نسبة المثل إلى العصر القديم.

(3)

الوضوح والغموض

للأمثال حضور ملموس في حياة المجتمعات البشرية، ربما اكتسبت في حضورها . لدى البعض . قوة المعتقدات الدينية المقدسة، التي تهيمن بسطوتها على منهاج الحياة وطرائق التفكير، أو تقوم بتفسير كثير من المعضلات التي تعيا على التأويل.

وهي تتنوع تنوع طبقات المجتمع، في ألوان بيئاته، وتعدُّدِ المشارب الثقافية، والخبرة الحياتية، التي تمتاح منها شرائحه المتعددة ؛ فلكل منها مشهور من الأمثال تدور في فلكها، يطبعها ميسم خاص من اللغة، والفكر، والفن ..

والأمثال . فصيحة كانت أو عامية . توصف بأنها من الفنون الشعبية فقد شارك في إنتاجها شتى بيئات المجتمع، واستطاعت بقدرتها الفذة أن تخترق كافة المجالات الطبقية، دون أن يلحقها مقص الرقابة، أو يمسها طائف من المصادرة.

ولكثرة المبدعين، وسرعة الشيوع والدوران، سقطت عن كثير من الأمثال أسماء مبدعيها، واستعصى على المؤلفين نسبتها، فلم يعنوا أنفسهم البحث عن أصحابها.

ومن الحق أن يقال: إن الأمثال لم تضرب عبثا ؛ ولم تذهب ثمرة عقول مبدعيها هباء ..، فما يزال المثل يمثل «رسالة»[30] مكثفة تحمل خلاصة التجربة التي عاناها صاحب الموقف الأول، ومرسل المثل، إلى كل الذين يعانون تجارب مشابهة أو يمرون بمواقف يمكن أن يكون المثل بالنسبة لهم هاديا خبيرا. ومن ثَمَّ نُدرك لماذا كانت أكثر الأمثال الشائعة واضحة على كثافتها ورمزيتها، وإن كان شيوع بعضها لا يمنعها من التلفع بالغموض أحاينا ..، على شريطة أن يكون ذلك الغموض شفيفا، تنفك مغاليقه مع يسير التأمل أو التفسير.

أما المغلق الغامض من الأمثال المتوارثة على مدار التاريخ العربي، فقد أدركته حاسة الانتقاء الجماعي بالنفي عن محيط التداول الشعبي، ليبقى أسير الأسفار ؛ شاهدًا على ما أبدعته العقلية العربية من آداب مثلية في مراحلها المختلفة، مرتبطة بسياقاتها الزمانية والمكانية.

✷✷✷

ليس عسيرًا على المتلقي أن يستوعب الكناية فيما تقوله العرب في أمثالها (أبَى العبدُ أن ينام حتى يحلم بِرَبَّتِه) فيدرك أنه مضروب فيمن أسكرته أوهامه فذهب يطلب من الأمور ما لا حق له فيها، ولا ينبغي له ؛ كالعبد الطامع في أن يملك سيدته. أو يسمع تصويرهم: (تركتُه على مثل مِشْفَر الأسد) فيدرك أنهم يعنون المهالك التي أدركت صاحبها بالويل والثبور، أو يسمعهم يتمثلون بقولهم: (أسمعُ جعجعةً ولا أرى طحينا) فيعلم أن ثمة صخبا ليس من ورائه فائدة أو عمل، ومثله قولهم: (رُبَّ قولٍ أشدُّ من صَوْل) ليبينوا أن من الكلام ما هو أشد أثرًا من الحِراب . ويقف عند حكمتهم السائرة (الظلم مرتعه

30 . راجع: من فنون الأدب الشعبي في التراث العربي، د. محمد رجب النجار (75/1).

وخيم) ملتفتا إلى سوء عاقبة الظلم. ومثل ذلك كثير، صعب إحصاؤه من الأمثال الواضحة الدلالة، التي لا تحتاج في استيعابها إلى كبير عناء لفهم المثل القديم.

إن الطائفة الأخرى من أمثال العرب الأقدمين، التي تتأبى على القراءة المتأنية، وإن راود القارئ النص كَرَّةً بعد أخرى ..! . معناها ينغلق ؛ حتى يقف على قرائن، غالبا ما تكون خارجة عن بنية المثل ذاته، الذي يبدو غامضا يستعصي على التأويل ..، ومن أجل ذلك انحسر ذيوعها على ألسنة المتأدبين، ولم تنل ما لاقاه أخواتها من الرضى والقبول .. كقولهم:

(أعييتني بأشر، فكيف بدردر).
(أرنيها نمرة، أركها مطرة).
(أشبه شرج شرجا لو أن أسيمرا).
(أفواههـا مجـاسها).
(أتى أَبَدٌ على لِبَدٌ).
(أَطْرِقْ كرا إنَّ النَّعَامَ في القُرَى).
(تحت طِرِّيقته عِنْدَأْوَةٌ).
(تبـلدي تصيـدي).
(التمر في البئر).
(تجنب روضة وأحال يعدو).
(أطول ذماء من الضب).
(عير بجير بجره، نسي بجير خبره).
(مخرنبـق لينبـاع).
(هتر أهتار وصل أصلال)...

إلى غير ذلك مما شابها من الأمثال العربية القديمة.

ومما لاشك فيه أن غموض مثل تلك الأمثال أو انحسار سيرها في الآفاق، لا يعود إلى سبب واحد، بل إلى أسباب عدة شأنها في ذلك شأن الأجناس الأدبية الأخرى، من فنون الشعر والنثر، لابد أن

تتوفر فيها شروط الفصاحة وأسباب البيان ؛ حتى يكتب لها الخلود والذيوع.

ولعلنا في تلك الملاحظات التالية يمكن أن نقف على بعض أسباب قلة تداول ما عرضناه من أمثال قديمة:

أولا: غرابة الألفاظ وحوشيتها:

يا بعد ما بين طبيعة شجر (الشوحط) وشجر (البان)! كلاهما يتعشقه العربي القديم، ويتغنى به في أشعاره، فمنهما تصنع قِسيه الفتية..، ومنهما ينحت صوره التشبيهية ..

و(الشَّوحط) ليس من شجر الجبال فحسب، بل هو شجر من حضيضها، أشد صلابة وأقسى مما ينبت في السفح أو في أعاليه. و(البان) ..، وما أدراك ما (البان)؟ أشجار فيها لينٌ، لكنها مستوية الفروع، أوراقها هُدب مدلاة ..

يا بُعْدَ ما بين اللفظتين في مفهومهما، بل في وقع ألفاظهما على الآذان ..!

إن شئت فاسمع شاعرنا الجاهلي «المخبل السعدي» يقول متغزلا:

وَكَأَن خِلفَتَها عَطيفَةُ شَوحَطٍ ✹ عَطلٍ بَراها مِن خُزاعَةَ باري

وقارنه بما يقوله الأمير العباسي (المتحضر) ابن المعتز . إن شئت أيضا . :

يا هِلالاً تَحتَهُ غُصنُ بانٍ ✹ أَيُّ ذَنبٍ فيكَ لِلعاشِقينا[31].

ولذلك قال علماؤنا البلاغيون القدامى "إن الحروف التي هي أصوات تجرى من السمع مجرى الألوان من البصر ..."[32] ؛ وكما تستحسن من الألوان وتستقبح، تلذ أصوات الكلمات في سمعك أو تنبو.

---

31 . ديوان أشعار الأمير العباسي عبد الله بن المعتز (517/1).

والغرابة في المعاني، كما هي في المباني. في المعاني حيث تحوجنا إلى البحث في بطون المعاجم، وتنأى بمعانيها عن تلك الحياة التي نمارسها في واقعنا اللغوي. وفي المباني حيث يؤذي تركيب أصواتها مسامعنا ؛ إذ كانت مسافرة من بيئة الصحارى والجبال والصخور .. إلى بيئات جديدة وشَّحها التحضر بألوانه الزاهية الرقيقة. بل إن "لتأليف اللفظة في السمع حسناً ومزية على غيرها وإن تساويا في التأليف من الحروف المتباعدة، كما أنك تجد لبعض النغم والألوان حسناً يتصور في النفس ويدرك بالبصر والسمع، دون غيره مما هو من جنسه، كل ذلك لوجه يقع التأليف عليه، ومثاله في الحروف (ع ذ ب) فإن السامع يجد لقولهم (العذيب) اسم موضع و(عذيبة) اسم امرأة، و(عذب وعذاب وعذبات) مالا يجده فيما يقارب هذه الألفاظ في التأليف، وليس سبب ذلك بُعد الحروف في المخارج فقط، ولكنه تأليف مخصوص مع البعد ؛ ولو قدمت الذال أو الباء لم تجد الحسن على الصفة الأولى في تقديم العين على الذال ؛ لضرب من التأليف في النغم يفسده التقديم والتأخير، وليس يخفى على أحد من السامعين أن تسمية (الغصن) غصناً أوفنناً، أحسن أحسن من تسميته (عسلوجاً). وأن أغصان (البان) أحسن من (عساليج الشوحط) في السمع..."[33].

ذلك وغيره يوقفنا على أسباب عدم شيوع المثل العربي القائل:(مُخْرَنْبِـقٌ لينبــاع). وهو مثل يضرب في "الرجل يطيل الصمت حتى يحسب مغفلا وهو ذو النكراء" فـ(المخرنبق): المطرق الساكت و(لينباع) أي: من أجل أن يثب إذا أصاب فرصته، ومعناه: "سكت لداهية يريدها". و(مخرنبق) لا تسيغها الأذن، ولو حاول المتكلم أن يكررها عدة مرات لتلعثم به اللسان. و(ينباع) بمعنى ينبعث نادر في

32 . سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1982م، ص:64.

33 . السابق.

استعمالاتنا ؛ مما يهيئ المثل للاختفاء عن التداول. وقد تزداد غرابة المثل ووحشيته في روايته الثانية (مخرنبق لينباق) بنفس المعنى، وهي أشد على اللسان والأذن من الأولى، لتكرار حرف القاف، واجتماعه مع حرف (الخاء) وهما من حروف الإطباق.

وفي ذات المعنى . تقريبا . تقول العرب: (تحت طِرِّيقته عِنْدَأْوَةٌ). يعني: إن تحت سكونك لَنَزْوَةً وطِماحاً، كما يقول الأصمعي في تفسيره. فـ(الطِّرِّيقة) بتشديد الطاء والراء مع كسرهما: اسم من الإِطْراقِ، وهو السُّكُونُ والضَّعْفُ واللِّين، وتوالي التضعيف والكسر ثقيل على اللسان نطقُه، توقع ناطقها في اللثغة إذا حاول تكرار الكلمة. أما (العِنْدَأْوَةُ): وهي بمعنى الجَفْوَةُ والمَكْرُ والخديعة، والعَسَرُ والالْتِواءُ ..، فبناؤها على (فِنْعَلْوة) أو (فِعْلَلْوَة) على اختلاف في التوجيه الصرفي ؛ فنطقها عسر، يتكلف مردِّدُ حروفها التذبذبَ ما بين الحنجرة.

ولعل أمثال (العندأوة) قد جمع بين العلتين:غرابة الكلمة، وقبح تأليف حروفها، فيكرهها السمع، ويتبرأ من سماعها كما يتبرأ من سماع الأصوات المنكرة[34].

ثانيا: صعوبة النطق:

إن صعوبة النطق أمر تشترك فيه المفردة اللغوية والتركيب اللغوي، وقد مررنا بـ(مخرنبق) و(ينباق) و(طِرِّيقَتِه) و(عِنْدَأْوَة)، لكن غرابة الكلام، والإحساس بوحشيته يزداد وعورة في التركيب ؛ إذ قد تذهب طلاوة الكلام بسبب تكرار الحروف والكلمات، وربما أسقط ذلك التكرار عن بعض الأمثال العربية القديمة قدرتها على البقاء، ومن تلك الأمثال قول العرب:(عَيَّرَ بُجَيْر بُجَرَهُ ونَسي بُجَيْرٌ خَبَرَه) تقوله لمن

34 . راجع: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص:4.

يعيّر غيره بما هو فيه[35]، وسواء كان (بجير) و(بجره) أخوين لهما قصة قديمة في التعيير ..، أو كان (بجير) تصغير للأبجر، وهو الناتئ السرة .. ؛ عير أخاه بما فيه . أيضا . من نتوء السرة، فإن قارئ المثل لابد له من التعلثم، وكأنه كلمات قيلت على لسان (الجن) بسبب تكرار الجيم والراء ..

ثالثا: الاقتطاع من سياق القصة:

إن طائفة أخرى من الأمثال العربية القديمة، ألفاظها واضحة، لا يبدو عليها آثار الافتعال، ولا يتلبس بها أيٌّ من مخارم الفصاحة والبيان، وعلى رغم ذلك لا يفهم معناها الذي من أجله ورد المثل كقولهم: (التمر في البئر) ، ومفهوم تلك الجملة الخبرية الواضحة ليس المراد من ذلك المثل، فمعناه الحقيقي لا يستفاد من بنية المثل، وإنما يستفاد من قصة المثل وأصله الذي ضرب في سياقه، وذلك أمر لاصق بكثير من الأمثال العربية القديمة التي ترتبط ارتباطا عضويا بالقصة التي أبدع المثل في سياقها. وأصل المثل . على ما يقولون . "أن منادياً كان يقوم في الجاهلية على أطم**36** من آطام المدينة حين يدرك البسر، فينادي: التمر في البئر، أي أكثروا من سقي نخلكم، فإن من سقى وجد عاقبة سقيه في تمره"[37]. يقول أبو العلاء المعري: "يستقي الماء من البئر على ظهر الناضح، فإذا سقى النخل جاء بالتمر"[38]. ومن ذلك قولهم: (أوردها سعد، وسعد مشتمل) لمن "عمل عملا لم يحكمه"[39]، وقولهم: (إن الشقي وافد البراجم) لمن قاده حظه العسر إلى هلاكه دونما جريرة. ولا يفهم ذلك من بنية المثل، إذ لابد من الرجوع إلى قصة المثل حتى يستفاد من سياقها المعنى المراد.

---

35 . راجع: زهر الآداب، وثمر اللباب، الحصري.

36 . حصن مبني بالحجارة.

37 . جمهرة أمثال العرب، أبو هلال العسكري.

38 . رسالة الصاهل والشاحج، المعري، ص:213.

39 . رسالة الغفران، أبو العلاء المعري، ص:407.408.

رابعا: أن يشتمل على ما يستقبح من الألفاظ:

إن قول العرب (أشبه شرَجٌ شَرَجا لو أن أُسَيْمَرا) على ما فيه من تكرار حرف الشين، وتكرار كلمة (شرج) حتى يصعب سريانه على ألسنة المتحدثين فإن فيه عيبا يحول بينه والشيوع، وهو أن (شرج) الأولى واد معروف باليمن، والثانية في معناها المعجمي تعني: مسيل الماء بالوادي، وهي مفردة لها معان عدة (مشترك لفظي)، ولها مفهوم خاص شاع في حياتنا المعاصرة، أنسى شيوعه بقية المعاني، وهو من المعاني التي تنتمي إلى تلك الألفاظ التي يستقبح الناس ذكرها إلا عند التداوي . وتلك ظاهرة قديمة أسقطت العديد من المفردات اللغوية، وعدها البلاغيون من مسقطات الفصاحة عن النتاجات الأدبية[40].

خامسا: الحذف في بنية المثل أو عود الضمير إلى مجهول:

ويعد الحذف، والاستفهام، والتعجب، وعود الضمير على مجهول من أبرز ما يساعد على إغلاق المعنى في طائفة من الأمثال العربية القديمة كما في قولهم: (إذَا ما القارِظُ العَنَزِيُّ آبا) والجملة شرطية تشتمل على فعل الشرط محذوفة الجواب، ولا يفهم المراد منها، بمجرد التعرف على اللغويات، فالقارظ: هو الذي يجمع القرَظ، من شجرة تسمى (السَّلَمَة) وهي شجرة من العضاه، ذاتُ شَوكٍ، وَوَرقهُا (القرَظُ) الذي يُدْبَغُ به الجلود. والمعنى المفهوم من السياق مبتور لذهاب شطر الجملة: (إذا جاء جامع القرظ)!!، ومثل هذا لابد له من الوقوف على قصة المثل التي يضرب مثلها فيمن لا يرجى إيابه. وكذلك مثلهم القائل: (أسائر اليوم وقد زال الظهر!) والذي خرج في صيغة الاستفهام الإنكاري، لايفهم دلالته حتى يعلم أن أصله في قوم أغير عليهم فاستصرخوا بني عمهم فأبطؤوا عنهم حتى أسروا ..، ثم جاؤا يسألون عنهم فقال لهم المسؤول هذا القول.

---

40 . راجع: سر الفصاحة، ابن سنان.

وفي تلك الجملة الخبرية شديدة الوضوح تقول العرب: (أمٌّ فرشت فأنامت) لا نستبين مرادهم من ظاهر النص، حتى يرد إلينا التأويل بأن مضربهم فيمن يبالغ بالعناية بأهله ورفاقه ..، والمسند إليه في الجملة (المبتدأ) محذوف يعود على تلك الأم.

وفي قولهم: (اسق أخاك النمري) ضمير فعل الأمر يعود على مجهول، وليس في المثل معنى بديع يجعله من الأمثال السائرة، وإنما تغلو قيمته بمعرفة القصة التي ورد من أجلها.

سادسا: الارتباط بالبيئات الخاصة:

إن من أهم الأسباب التي تدخل بالمثل في باب الإغلاق وقلة الدوران على الألسنة، وانحساره في نطاق الدراسات المتخصصة، . ارتباط طائفة منا ببيئاتها التي تتسم في بعض أوصافها بالانعزال والجفاء، والتوحش والبداءة، وبخاصة تلك التي تستوطن القفار، وتسيح في أجواء البوادي والبراري، يتقفرون المراعي ويترحلون حيث يلفون الماء .. هنالك في تلك البيئة ينحت العربي لغة أمثاله ويرسم صورها مما يحيطه من ذلك الكون الفسيح ..، فتتحاور التجارب الإنسانية، ومفردات الكون المتنوعة ..

يلاحظ العربي ولد الناقة (الفصيل) يعدو في نشاط حتى يرفع يديه ويضعهما معا، ويعجن برجليه (يستن)، فيحاول العاجز منها لمرض ألم به (القرعى) مجاراة الأصحاء في عدوها ذلك، فيسقط من ضعفه .. ؛ يلاحظ العربي ذلك فيضربه مثلا للرجل يفعل ما ليس له بأهل قائلا: (استنت الفصال حتى القرعى).

ويدرك ذلك الراعي الماهر أن إحسان الإبل لتناول غذائها من أكبر الشواهد على حسن صحتها، فلا يحتاج إلى جسها حينئذ، فأرسلوا مثلهم القائل: (أفواهها مجاسها) للأمر يدل ظاهره على باطنه. ومن حسن سياستهم لنوقهم عند در حليبها أن يستأنسونها بقولهم (بس بس)، فضربوا من ذلك مثلهم: (الإيناس

قبل الإبساس) فيمن ينبغي إيناسه والتبسط له من الرجال قبل التكليف والسؤال. وحينما ألفوا الجبال تردد أصوات الناس (ظاهرة الصدى) لا تنقطع عن ذلك أو تمل، وصفوا من يتكلم مع كل متكلم بأنه (بنت الجبل)، وفي رحلة انتظاره لأمطار السماء، يدرك أن السماء حين تتلبد بالغيوم ويشوب سحبها السواد حتى تصير كمثل جلد النمر، فذلك إيذان باقتراب الهطول، فضربها مثلا بقوله: (أرنيها نمرة أركها مطرة)، للأمر يتيقن وقوعه إذ لاحت مخايله وتباشيره.

ومع صحة تلك الأمثال في استدلالاتها، وإصابتها في مراميها التي من أجلها سارت، فكثير منها لا يمكننا الاستشهاد به في حياتنا المعاصرة، فكأن سيرها لم يتعد أزمانا قديمة حتى أعياه الارتباط الوثيق بالبيئة القديمة عن إتمام المسير.

ولربما كان من تمام الحديث في مبحثنا هذا أن نجمل ما ذكره ابن فارس من أسباب غموض الكلام وإشكاله في:

1. "غرابة لفظه.
2. أن تكون فيه إشارة إلى خبر لم يذكره قائله على جهته.
3. أن يكون الكلام في شيء غير محدود.
4. أن يكون وجيزا في نفسه غير مبسوط.
5. أن تكون ألفاظه مشتركة"[41].

41 . الصاحبي، ابن فارس، ص:70،69.

(4)

المثل والحكمة

«إن من الشعر لحكمة»[42] (حديث شريف).

«أدبتهم الحكمة، وأحكمتهم التجارب»[43] (مقولة أعرابي).

بهاتين الحكمتين: النبوية النابعة من نور النبوة، والعربية الصادرة عن القرائح الصافية، يمكن لنا أن نعرِّف الحكمة بأنها: الكلمة الصادقة، الموافقة للحق، والمطابقة للواقع[44].

ولغير الأنبياء، جرت الحكمة على ألسنة الحكماء، لصفاء في نفوسهم، ورقيٍّ في أرواحهم، على طول تأمل وتجريب، ومعالجة دائمة للواقع. ولذلك قال البعض في تعريفها إنها: "اسم لكل علم حسن وعمل صالح، وهو بالعلم العملي أخص منه بالعلم النظري"[45].

ومن الحق أن هناك فروقًا دقيقة بين الحكمة والمثل يمكن تلخيصها فيما ذكره العلامة «نور الدين اليوسي» (1040-1120هـ)[46] :

1. "أن الحكمة عامة في الأقوال والأفعال، والمثل خاص بالأقوال.
2. أن المثل وقع فيه التشبيه كما مر، دون الحكمة.
3. أن المقصود من المثل الاحتجاج، ومن الحكمة التنبيه والإعلام والوعظ"[47].

---

42. رواه البخاري، راجع فتح الباري، ابن حجر (537/10).
43. الأمالي، أبو علي القالي (21/2).
44. راجع: فتح القدير، المناوي، في شرح حديث: إن من الشعر لحكمة.
45. الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، ص:180.
46. ترجمته مختصرة في عجائب الآثار، الجبرتي (126/1).
47. راجع: زهر الأكم في الأمثال والحكم، اليوسي.

والحق أن كثيرا من الأمثال قد لبست ثوب الحكمة، وكذلك الحكمة، ظهرت في مسوح الأمثال، حتى صح أن يتجاذبا المصطلحين.

فقول العرب في أمثالها: «الصَّمْتُ حُكْمٌ، قَلِيلٌ فَاعِلُه» "جعل الصمت حِكمةً (=حُكْم)، لأنه يمنع صاحبه من التورط فيما لا ينفع. ولا نشك في حكمية ذلك المثل.

ولابد أن ننتبه إلى أن الحكمة تتمتع مع قوة منطقها، وسلطان حجتها، بوضوح معناها، وإلا لا يمكنها أن تدلف من باب الحكم، وهي بالأمثال ألصق. وذلك أن كثيرا من الأمثال مع اشتمالها على حكم بارعة، إلا أنها مغلقة لا نستطيع فهمها، والاستشهاد بها، حتى نعلم حقيقة موردها (=قصتها) أو تفسيرها. ومثالا على ذلك تلك الحكمة البليغة (=مثل): «أن ترد الماء بماء أكيس». وهي تعني أن من الكياسة (=الفطنة)، أن يحتفظ الوارد على الماء بشيء من الماء له ولراحلته، فلعله حين يرد لم يُلْف في النبع ماء فيهلك. وذلك تنبيهٌ إلى عدم الإفراط في الثقة فيما تقبل عليه وليس بين يديك. وتلك حكمة . لعمر الله . تضرَبُ لها أكبادُ الإبل، ولكن خفاء معناها في ظاهر لفظها، يجعلها بالأمثال أشبه.

وقد يكون . وهو كثير . في الأمثال ما هو أكثر إغلاقا من ذلك، وبخاصة إذا جاء المثل في صيغة الحكمة، أي خرج مخرج الطلب. فقولهم: «اكذب نفسك إذا حدثتها» لا يعني ما في ظاهر العبارة، وإنما يراد به "الرجل يهتم للأمر الجسيم، فتخوفه نفسه الخيبة فيه ..، فيقال اكذبها عند ذلك، وحدثها بالظفر لتعينك على ما تبتغيه منه"[48].

إن صيغ الإنشاء الوعظية التي غالبا ما تتشح الحكمة بردائها، لم تكن حائلة بين الحِكم وأن تطير أمثالا لا تحدها حدود. وعلى هذا صارت كثير من أحاديث المصطفى ﷺ وجوامع كلمه، من باب

48 . جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري (51/1).

الأمثال السائرة، وفي كتب الأمثال نجد: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما»، «ارحموا من الأرض يرحمكم من في السماء»، «دَعْ ما يَرِيبُكَ إلى مالاَ يريبك» ...إلخ.

وعلى كل ما سبق، من تداخل اللونين: الحكمة والمثل ؛ فإنَّ عددًا ضخمًا من الأمثال لا يمكن إدراجه في باب الحكمة، وبخاصة تلك الأمثال التي ترد على صيغة «أفعل» مثل: "آكَلُ مِنْ حُوت"، و«آمَنُ مِنْ حَمَامِ مَكَّة»، و«أَتْبَعُ مِنْ تَوْلَبٍ» ...إلخ.

(5)

الجماليات

العرب من أغزر الأمم ضربًا للأمثال، وتمتلك تراثا مثليًّا غاية في الضخامة والتنوع. وإذا دل ذلك على شيء فإنما يدل على صفاء قريحة النفس العربية وقوة حكمتها، وحساسيتها المرهفة تجاه التجارب الواقعية، وقدرة عقولها على إنتاج الحكمة، وقص الأقاصيص.. . فإنما يدل كذلك على تميز الأمثال الجمالي، وقوة تأثيرها الفني.

يحدثنا ؟أبو هلال في مقدمة كتابه «جمهرة أمثال العرب» يحدثنا أبو هلال العسكري عن المكانة الرفيعة التي احتلتها الأمثال لدى الأدباء قائلا: "ثم إني ما رأيت حاجة الشريف إلى شيء من أدب اللسان بعد سلامته من اللحن، كحاجته إلى الشاهد والمثل، والشذرة والكلمة السائرة، فإن ذلك يزيد المنطق تفخيما، ويكسبه قبولاً، ويجعل له قدراً في النفوس، وحلاوةً في الصدور، ويدعو القلوب إلى وعيه، ويبعثها على حفظه، ويأخذها باستعداده لأوقات المذاكرة والاستظهار به أوان المجاولة في ميادين المجادلة، والمصاولة في حلبات المقاولة، وإنما هو في الكلام كالتفصيل في العقد، والتنوير في الروض، والتسهيم

في البرد..."[49]، ويشير إلى أن تلك المكانة، إنما احتلتها الأمثال بفضل ذلك المخرج الجمالي الرائع، الذي تفنن العرب فيه فيقول: "ولما عرفتِ العربُ أن الأمثال تتصرف في أكثر وجوه الكلام وتدخل في جل أساليب القول أخرجوها في أقواها من الألفاظ ؛ ليخف استعمالها، ويسهل تداولها ؛ فهي من أجلِّ الكلام وأنبله، وأشرفه وأفضله:

1. لقلة ألفاظها.
2. وكثرة معانيها.
3. ويسير مئونتها على المتكلم مع كبير عنايتها، وجسيم عائدتها"[50].

وأبو هلال العسكري بحاسته الفنية الناقدة، استطاع أن يقف بنا في كلماته الموجزة، على سر جمال الأمثال الأخاذ، الذي يبدو في ذلك العنصر المركز، شديد التكثيف، بيد أنه يمتلك على ذلك الاكتناز، طاقةً متوهجة بالمعاني الغزيرة ...

يقول أبو هلال: "ومن عجائبها أنها مع إيجازها تعمل عمل الإطناب، ولها روعة إذا برزت في أثناء الخطاب ...".

ومن أجل تلك الروعة الباغتة التي يبعثها المثل حين يلوح بين ثنايا الحديث، حرص الأدباء على تضمينه في ألوان بيانهم.

---

49 . جمهرة الأمثال، (4/1).

50 . السابق.

ويهمنا أن نتأكد أن جماليات المثل، لم تقف عند معانيه الثرة، بل تجسدت في صياغته التي "تحوج الخطيبَ المِصْقَع والشاعر المُفْلِقَ إلى إدماجها وإدراجها في أثناء متصرّفاتها وأدراجها، لاشتمالها على أساليب الحسن والجمال، واستيلائها في الْجَوْدَة على أمَدِ الكمال"[51]

و«أبو إسحاق إبراهيم النظام» المعتزلي، شيخ الجاحظ، يرى أن المثل اجتمع له من الخصائص الجمالية ما لم يجتمع في غيره من فنون الكلام، وهي:

1. إيجاز اللفظ.
2. إصابة المعنى.
3. حسن التشبيه.
4. جودة الكناية"[52].

و«التشبيه» ملازم لحقيقة المثل كما تقدم، حيث تشبه الحال الثانية (=المضرب) بالحال الأولى (=المورد)، وإن كان لفظ المثل خاليًا من التشبيه. لكنَّ عددا من الأمثال ورد بصيغة التشبيه الصريحة أو المضمرة. ويراد بحسن التشبيه . حينئذ . ذلك "الذي يخرج الأغمض إلى الأوضح، فيفيد بيانا"[53] أوذلك الذي "يقرب بين البعيدين حتى تصير بينهما مناسبة واشتراك"[54]. والحق أن جمال التشبيه هاهنا يعود . فيما يعود . إلى إظهار «المعنوي» في صورة «المادي» المحسوس، فتزداد النفس به قناعة. والأمثال معنية بالبيان والإيضاح، وإيصال التجربة المكثفة إلى الآخرين.

---

51 . نفسه.

52 . مجمع الأمثال، الميداني (6/1).

53 . العمدة، ابن رشيق (287/1).

54 . نفسه (289/1).

ولنقرأ قول «أكثم بن صيفي» يقول في أحد أمثاله السائرة التي سردها أمام كسرى الفرس: «مَنْ فَسَدَتْ بِطَانَتُهُ كانَ كَمَنْ غُصَّ بِالماءِ»[55]. وهو يريد أن الإنسان . والحاكم على وجه الخصوص . إذا كانت رفقته فاسدة، فقد فسدت كل أموره، وأوشك على الهلاك، كحال الذي أصابته غُصَّة الماء حتى بلغت منه مبلغا حرجا لا دواء له منها. وإنما شبهه بغصة الماء لا الطعام ؛ لأن الغاصَّ بالطعام إنما يلجأ إلى الماء، فإذا كان الماء هو الذي يغصه فلاَ حيلَةَ له حينئذ!. ولا يخفى ما في هذا التشبيه من مبالغة تلقي في نفس المتلقي إحساسا بالروعة، وتشيع في وجداناته الأحاسيس الجمالية.

وأما الدور «الكِنائي» الذي تلعبه الأمثال، و«الكناية» إحدى جماليات المثل الملازمة له، سواء ضمنت في ألفاظ المثل، أو جاءت بكناية القصة الأولى عن الحالة أو القصة الثانية . فهو دور جمالي معجب، له تأثيره البالغ على المستمع حين يقف على غاياتها.

و«الكناية» لدى علماء البلاغة، "أبلغ من التصريح"، وهي في أبسط تعريفاتها: لفظ أريد به لازم معناه، مع جواز إرادة المعنى الحقيقي[56]. فالكناية أينما وردت تجاذبها جانبا الحقيقة والمجاز، فيجوز حمله على كل منهما[57]. ولنقرأ قول العرب في أمثالها السائرة: «إنّه لنكد الحظيرة»[58]، يضربونه للرجل القليل الخير، وللبخيل مع السعة، فكأن ضيق حظيرته كناية عن ضيق خيره، وقلة فضله[59]، ويقولون

---

55 . مجمع الأمثال، الميداني (317/2)، وجمهرة أمثال العرب، العسكري (252/2)، وخزانة الأدب، البغدادي (512/8).

56 . راجع: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص:318.

57 . راجع: المثل السائر، ابن الأثير (52/3).

58 . مجمع الأمثال، الميداني (47/1).

59 . راجع: زهر الأكم في الأمثال والحكم، نور الدين اليوسي، تحقيق: د محمد حجي، د محمد الأخضر، المغرب، الدار البيضاء، دار الثقافة، ط1، 1981، (126/1).

في ضده: «فلان رحب الفناء».

وتقول العرب: «قد علا الماء الزُّبَى»، و«قد بلغ السكين العظم» و«بلغ الحِزام الطُّبْيَيْنِ» و«قد انقطع السَّلَى في البَطْن». كناية عن أن الأمر قد جل عن أن يغير و يصلح[60].

***

وعلى الرغم من قلة اعتماد الأمثال على المحسنات البديعية، من سجع وجناس ..، وذلك لأمر بدهي، هو أن أكثر الأمثال جاءت بنيتها متمثلة في جملة واحدة قصيرة (بسيطة)، أو في عبارة مثلية (جزء جملة) . إلا أن الأمثال المركبة (التي جاءت محتوية على جملتين أو ثلاث) [61] اعتمد بعضها على التأثيرات الصوتية.

وفي قراءتنا للأمثال السابقة . لعلنا . وقفنا على قولهم:

. «إن أخاك من آساك».

فنفطن إلى تلك التقفية الداخلية في أثناء الجملة الواحدة (إن/من) ونلمسها أيضا في: (أخاك/آساك)، مع ملاحظة الجناس الناقص.

ونجد شيئا من الاعتماد على تكرار الحروف كالسين في قولهم:

. «سبق السيف العذل».

60 . راجع: الكامل، المبرد (27/1).

61 . راجع: من فنون الأدب الشعبي، في التراث العربي، د. محمد رجب النجار (75/1 وما بعدها).

ولنتأمل الأمثال التالية ؛ التي تشي بأن العرب لم تهمل تلك المؤثرات الصوتية إهمالا تاما، حتى في باب الأمثال التي تكاد بنيتها الصغيرة أن تكون بعيدة عن هذا التعامل. وإن دل ذلك على شيء، فإنما يدل على أن النثر العربي في العصر الجاهلي، لم يكن يبالغ في استخدام المحسنات أو إهمالها:

. كيف أعاودك وهذا أثر فأسك.

. رأي فاتر وغدر حاضر.

. القول رادف، والعزم عثراته تخاف.

. خطب يسير في خطب كبير.

. ويل امه حزما، على متن العصا.

. بلغ المدى، وجف الثرى، وأمر غدر أرى.

. بل ثائر سائر.

. من لاحاك فقد عاداك

. المزاح لقاح الضغائن

. من حب طبّ .

. أنت تئق، وأنا مئق، فمتى نتفق.

(6)

إسهام حضاري

لم تلعب الأمثال دورًا ذا بال في حياة أمة كما لعبته في حياة الأمة العربية، فآلاف الأمثال المبثوثة في بطون المؤلفات الأدبية التراثية[62] كافية للدلالة على هذا الدّور الحيوي، الذي لا يقل أهمية عما يمكن أن يمارسه أي فن أدبي آخر في حياتها.

والمثل . في الحقيقة . يلخص تجربة واقعية أو متخيلة. وتنطوي صياغته . كما قدمنا . على حكمة مكثفة، تتكشف عن دلالات أخلاقية ونفسية واجتماعية وسياسية. وقد يشير إلى قصة أسطورية أو يحكى على ألسنة الطيور والحيوانات.

ولخطورة الدور الذي مارسته الأمثال في حياة الأمم، اعتبرته بعض الاتجاهات الاجتماعية الحديثة مصدرا ثرًّا من مصادر التعرف على الحياة الاجتماعية والعقلية والثقافية .. لأمة ما، وما ذلك إلا لأن الأمثال السائرة تمثل صورة حقيقية من حياة الأمم، تحكي تجاربها، وتمتاح لغتها، وتنحت صورها، وتقتص قصصها من وحي بيئتها التي تعيشها. كما تميزت بالتعبير عن كافة طبقات المجتمع وشرائحه المتعددة، إذ ساهم الجميع في إبداعها، لا تتميز طبقة عن طبقة في ذلك.

***

إنَّ الأمثال ديوان حكمة العرب، وخزانة علمهم. ومن خلال قراءتها نقف على حقيقة المستوى الحضاري والثقافي الذي كانت تحياه الأمة العربية قبل مجيء الإسلام.

---

62 . تصل إلى (6080) مثلا، في كتاب الميداني وحده، راجع: من فنون الأدب الشعبي، د. محمد رجب النجار (77/1).

وبادئ ذي بدء، نشير إلى أنه "لا توجد جماعة لا نصيب لها من الحضارة، وأن المسألة تعود في جوهرها إلى الفرق في المستوى فحسب"[63] وأن التقدم «المادي» ليس هو المقياس الوحيد الذي يقاس على أساسه تحضر الأمم أو عدمه، بل له مقياس آخر ربما كان هو الفصل أو الأهم في اعتبار الأمة متحضرة أم لا، وهو العامل المعنوي[64].

إن تاريخ الأمة العربية المسلمة يحكي لنا كيف كان العرب على أهبة الاستعداد للانتقال من طور الجاهلية إلى الإسلام، وكيف عاشت تلك الأمة، وأحكمت تجاربها، وتوثقت علاقاتها بالكون والحياة في تلك الصحراء الشاسعة المترامية في شبه الجزيرة وما حولها، ثم انتقلت في سنين معدودة لتمارس الفعل الحضاري في أرجاء المعمورة ..، أمة كهذه، لابد أنها كانت تمتلك ميراثا حضاريا معنويا أهلها لاعتناق الحكمة الإسلامية، والاستجابة لهذا التحول المعجز[65].

وإذا كان "البدائيون لا يفكرون بثقافتهم أو يحللونها، بل يعيشونها"[66] فإن الرصيد الحكمي للعرب الجاهليين، يكشف عن حياة عقلية بلغت من التحضر شأوا لم تبلغه الأمم المعاصرة لها.

إن المتابع للدلالات الإنسانية المكثفة التي حملتها الأمثال العربية القديمة لابد وأن تزداد قناعته بمستوى الحياة العقلية التي كان يحياها العرب . وقتئذ . على اتصافهم بالبداوة، ولابد أنه تدركه القناعة أيضا بمدى رهافة الأحاسيس والمشاعر التي استطاعت أن تتفاعل مع الكون المحيط بكل مفرداته، فتجتني من تلك العلاقة الجدلية الحية حكمتها التي تربي عليها أجيالها المتتالية، فحياتهم وإن خلت فترة

---

63 . الحضارة، د. حسين مؤنس، ص:48، بتصرف.

64 . راجع: السابق.

65 . راجع: السابق ص:28، 50، 51.

66 . البدائية، تحرير: أسلي مونتاغيو، ترجمة د. محمد عصفور، ص:46.

طويلة من الزمان من هداية الكتب السماوية المقدسة ..، وعقولهم وإن خلت من الفلسفات الوضعية، وممارسة الحكمة النظرية في الأسفار المدونة ..، غير أنهم لم يتركوا حركة أو سكنة في عالم الإنسان أو الحيوان أو النبات أو حركات الأفلاك ودورات الرياح أو في عوالم الجمادات ..، مما تقع عليه أبصارهم، أو يكون لها وقع في مشاعرهم، إلا وانتبهوا إليها، وتذوقوها، وتأولوها، وعلى فورهم دونوها في آدابهم البليغة. وبقراءة متأنية للأمثال العربية سوف نقف على عالم نادر من الأفكار والقيم والمشاعر كانت العرب تحياه في أزمانها القديمة.

ونشير . هاهنا فحسب . إلى تلك العلاقة الوثيقة بين العربي وعالم الحيوان تلك التي غصت أمثاله القديمة بالحديث عنها أو الاستعانة بها في تجسيد المعاني، وهو باب واسع يشتمل على مئات الأمثال أحسن الوزير الكاتب أبو سعد منصور بن الحسين الآبي (421هـ) استيعابها في تصنيف موضوعي ضمن موسوعته القيمة (نثر الدر)[67].

والأمثال ليست كأشعار الجاهليين عنيت بالوصف الحسي المفصل للحيوان، وبخاصة تلك الناقة التي تحمل الشاعر في رحلته الشاقة ... لقد رسمت الأمثال لنفسها طريقا آخر، نفذت به إلى كل ما أمكنها رصده من الخلائق الحميدة أو الذميمة في حياتها، وعلى سبيل المثال جاء في أمثالها عن الجمال والنوق:

أحقد من جمل	أهون من ضرطة الجمل
أخف حلما من بعير	أحمق من الربع
أخبط من عشواء	أهدى من الجمل

67 . راجع: نثر الدر (223.158/6) من المثل رقم 621 حتى رقم 1484.

أذل من بعير سانية	ألأم من سقب ريان
أصول من جمل	لا يعدم الحوار من أمه حنة
أغير من الفحل	أمهلني فواق ناقة
أغير من الجمل	لا آتيك ما حنت النيب إلى النيب
وقع القوم في سلي بعير	لا أتيك ما أطت الإبل
الإبساس قبل الإيناس	حرك لها حوارها تحن
في مثل حدقة البعير	هما كركبتي بعير
ضرب البعير في جهازه	اتخذ الليل جملا

ولم يكتفِ العرب في أمثالهم برصد تلك الخلائق الحيوانية الخاصة بكل حيوان أو طير أو هامة .. لكنهم تخطوا ذلك إلى إسقاط الخلائق الإنسانية على أفعالها، بل كان لدى أمثالهم معايير دقيقة تفرق بها بين سلوكٍ واحدٍ عند حيوانين مختلفين ..

فلقد وقف العربي على حيوانين كل منهما أكل بنيه، هما (الضب)، و(الهرة)، غير أنهم حين تمثلوا بهما تسامحوا مع الهرة، ونفروا من سلوك الضب فقالوا: (أعق من ضب)، و(أبر من هرة) وتوجيه ذلك في غاية الطرافة ؛ إذ قد لمسوا من عقوق الضب أنها إذا باضت حرست بيضها من كل ما قدرت عليه من ورل وحية وغير ذلك، فإذا نقبت أولادُها وخرجت من البيض ظنتها شيئاً يريد بيضها فوثبت عليها تقتلها فلا ينجو منها إلا الشريد. أما الهرة فإنما تأولوا أكلها بنيها لشدة حبها لها وخوفها عليها.

ومن ذلك وصفهم (الأسد) بالكرم، و(الذئب) باللؤم ؛ حيث رصدوا من أخلاق الأسد أنه يتجافى

عما يمر به وهو شبعان، أما الذئب فما يزال يتعرض لكل ما يعرض له، حتى يأكل أخاه حين تهيجه دماؤه النازفة منه![68].

ومما تجدر ملاحظته، أنه كلما كان لبعض تلك الحيوانات أو الطيور أو الحشرات والهوام قيمة أو تأثير في حياتهم ألفينا أمثالهم تحاول أن تستقصي كل ما ما أمكنها من صفاته وخلائقه، ولقد كان الـ(الضَّبُّ)[69] أحد الأمثلة التي انفسح لها المجال في أمثالهم، فقالوا:

أصبر من ضب	أعمر من ضب
أضل من ضب	اقصر من فتر الضب
أطول من ذماء الضب	هو أعلم بضب من حرشه
أسمع من ضب	أقصر من إبهام الضب
أخب من ضب	كل ضب عنده مرداته
أروى من ضب	خله درج الضب
أخدع من ضب	إن تك ضبا فأنا حسله
أحير من ضب	أخذه أخذ الضب ولده
أعق من ضب	أعقد من ذنب الضب ...

68 . راجع مجمع الأمثال، الميداني.

69 . الضَّبُّ: دُوَيْبَّة من الحشرات معروف في بلاد العرب، وهو يشبه الوَرَلَ (البرص)، لكن العرب تَسْتَخْبِثُ الوَرَلَ وتستقذره ولا تأْكله، وأَما الضَّبُّ فإِنهم يَحْرِصُون على صَيْده وأَكله. راجع: لسان العرب ن مادة ضبب.

وربما حملهم الاهتمام به أو الإعجاب أن تصوروه حكيما قاضيا يحكم بين المتنافرين ويضرب الأمثال، وذلك في أسطورتهم الشهيرة التي يقولون فيها: وجدت الضبع تمرة، فاختلسها الثعلب، فلطمته، فلطمها، فتتحاكما إلى الضب،

. فقالت : يا أبا الحسل.

. قال :"سميعاً دعوت".

. قالت: جئناك نحتكم إليك.

. قال: "في بيته يؤتى الحكم"

. فقالت: إني التقطت تمرة.

. قال: "حلواً جنيت".

. قالت: إن الثعلب أخذها.

. قال: "حظ نفسه بغى"

. قالت: لطمته.

. قال: "أسفت والبادي أظلم"

. قالت: فلطمني.

. قال: "حر انتصر".

. قالت: اقض بيننا.

. قال: حدث امرأة حديثين فإن لم تفهم فأربعة![70].

إن قراءة واعية لمعطيات ذلك الفن ودلالاته المتعدة، سوف تقف بنا حتما على صورة أقرب للواقع العربي في العصر الجاهلي ومدى الثراء العقلي والنفسي وأثرهما في علاقاته بالحياة والأحياء.

70 . جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري (367/1)، ومجمع الأمثال، الميداني (72/2)، الأذكياء، ابن الجوزي، ص:243، محاضرات الأدباء، الراغب الأصفهاني (706/2)، نهاية الأرب، النويري (43/3).

قائمة المراجع

- مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (296/5)، دار الفكر، 1979م.
- راجع: تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، (381/30)، الكويت، 2001م. والمعجم الوسيط (854/2)، مادة: مثل.
- مجمع الأمثال، الميداني (6/1).
- العمدة، ابن رشيق (280/1).
- مجمع الأمثال، الميداني (5/1)
- مجمع الأمثال، الميداني (6/1).
- راجع: زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن اليوسي، تحقيق: د. محمد حجي، ود. محمد الأخضر (1/)، دار الثقافة، المغرب، ط1، 1981م.
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص: 462.
- المثل السائر، ابن الأثير (54/1).
- المثل السائر، ابن الأثير (55.54/1)، وراجع: صبح الأعشى، القلقشندس (296/1).
- الغائلة: المهلكة.
- في الأدب الجاهلي، د. طه حسين، ص: 331.
- ديوان امرئ القيس، ص:238، والحقيبة: الذخيرة.
- ديوان المتلمس الضبعي، تحقيق حسن كامل الصيرفي، مصر، معهد المخطوطات، 1970م، ص: 173.
- ديوان أبي تمام، تحقيق محمد عبده (392/4).

- جعل العير مثلا للشيء الدني والفرس مثلا للكريم.
- يقول: إن المرء يرجو الحياة لطيبها عنده، ويكره الشيب وهو خير له لأنه يفيده الحلم والوقار، ويحب الشباب وهو شر له؛ لأنه يحمله على الطيش والنزق.
- العمدة، ابن رشيق (281/1).
- لباب الآداب، أبو منصور الثعالبي، تحقيق: أحمد حسن لبج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (136،9/2).
- جمهرة أمثال العرب (226/1).
- جمهرة الأمثال، (25/1).
- راجع: من فنون الأدب الشعبي في التراث العربي، د. محمد رجب النجار (75/1).
- ديوان أشعار الأمير العباسي عبد الله بن المعتز (517/1).
- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1982م، ص:64.
- راجع: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص:4.
- راجع: زهر الآداب، وثمر اللباب، الحصري.
- حصن مبني بالحجارة.
- جمهرة أمثال العرب، أبو هلال العسكري.
- رسالة الصاهل والشاحج، المعري، ص:213.
- رسالة الغفران، أبو العلاء المعري، ص:407،408.
- راجع: سر الفصاحة، ابن سنان.
- الصاحبي، ابن فارس، ص:69،70.

- رواه البخاري، راجع فتح الباري، ابن حجر (537/10).
- الأمالي، أبو علي القالي (21/2).
- راجع: فتح القدير، المناوي، في شرح حديث: إن من الشعر لحكمة.
- الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، ص:180.
- ترجمته مختصرة في عجائب الآثار، الجبرتي (126/1).
- راجع: زهر الأكم في الأمثال والحكم، اليوسي.
- جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري (51/1).
- جمهرة الأمثال، (4/1).
- مجمع الأمثال، الميداني (6/1).
- العمدة، ابن رشيق (287/1).
- مجمع الأمثال، الميداني (317/2)، وجمهرة أمثال العرب، العسكري (252/2)، وخزانة الأدب، البغدادي (512/8).
- راجع: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص:318.
- راجع: المثل السائر، ابن الأثير (52/3).
- مجمع الأمثال، الميداني (47/1).
- راجع: زهر الأكم في الأمثال والحكم، نور الدين اليوسي، تحقيق: د محمد حجي، د محمد الأخضر، المغرب، الدار البيضاء، دار الثقافة، ط1، 1981، (126/1).
- راجع: الكامل، المبرد (27/1).
- راجع: من فنون الأدب الشعبي، في التراث العربي، د. محمد رجب النجار (75/1 وما بعدها).

- تصل إلى (6080) مثلا، في كتاب الميداني وحده، راجع: من فنون الأدب الشعبي، د. محمد رجب النجار (77/1).
- الحضارة، د. حسين مؤنس، ص:48، بتصرف.
- البدائية، تحرير: أسلي مونتاغيو، ترجمة د. محمد عصفور، ص:46.
- راجع: نثر الدر (223.158/6) من المثل رقم 621 حتى رقم 1484.
- راجع مجمع الأمثال، الميداني.
- الضَّبُّ: دُوَيْبَّة من الحشرات معروف في بلاد العرب، وهو يشبه الوَرَلَ (البرص)، لكن العرب تَسْتَخْبِثُ الوَرَلَ وتستقذره ولا تأْكله، وأَما الضَّبُّ فإِنهم يَحْرِصُون على صَيْده وأَكله. راجع: لسان العرب ن مادة ضبب.
- جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري (367/1)، ومجمع الأمثال، الميداني (72/2)، الأذكياء، ابن الجوزي، ص:243، محاضرات الأدباء، الراغب الأصفهاني (706/2)، نهاية الأرب، النويري (43/3).